الطبيعة

في عام 1906 أعطت الحكومة الإيطالية د. «ماريا مونتيسوري» قطعة أرض صغيرة جرداء عليها مبنى قبيح، وطلب منها المسئولون أن تحبس أطفال شوارع الحي بداخلها طوال النهار حتى يعود أهلهم من العمل – بدلًا من تدمير شوارع وحيطان وكباري ومباني الحي. قامت «ماريا مونتيسوري» بزراعة الحديقة الصغيرة المحيطة بالمبنى، ووضعت أحواض الزرع على جميع النوافذ. امتلأت كتب «ماريا مونتيسوري» ومذكراتها بالأنشطة القائمة على الزرع والزراعة ومراقبة الطبيعة في كل أشكالها لأنها آمنت إيمانًا شديدًا بأن الإنسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة، وأن من يحب الطبيعة لن يدمر أو يقتل أو يسرق لأن أساس الطبيعة هو البناء والنمو والسلام.

ابتداءً من عمر ثلاثة أشهر يبدأ عقل الطفل «الماص» في تخزين صور ذهنية عن الطبيعة من حوله، صور للسماء والحدائق والأشجار والنخيل والورود والجبال والبحر! عليكم استغلال هذه المرحلة الحساسة والخروج به إلى المتنزهات. لن يفهم الطفل أسماء الأشياء لكنه سوف يلتقط مشاعر من معه! سوف يرصد الطفل مشاعر الراحة والسعادة والسلام الداخلي وترتبط تلك الجولات لديه بالحب والسعادة.

في عمر ستة أشهر ابدءوا بتعريف طفلكم على ما يرى؛ شجرة! زهرة! نخلة! سماء! بحر! جبل! لا تحكي ولا تستفيض! فقط كرر الأسماء أمامه كل يوم – يجب أن يتعرض الطفل للهواء الطلق يوميًّا!

في عمر تسعة أشهر ابدءوا بسؤال طفلكم عن أماكن الأشياء، أين الشجرة؟ أين الزهرة؟ أين النخلة؟ أين السماء؟ وهكذا! في هذه المرحلة لن يتمكن الطفل من الإجابة إلا باستخدام إصبعه للإشارة وهذا هو غرض هذا النشاط!

في عمر عام ابدءوا في تقديم الألوان، شجرة خضراء! زهرة حمراء! سماء زرقاء! من الأفضل أن تركزوا في كل جولة على لون واحد فقط ليتعلم الطفل الألوان. في نفس الجولة ابدءوا سؤاله عن أماكن الأشياء وشجعوه على الإشارة للأشياء والألوان.

في عمر عام ونصف راقبوا معًا الفراشات والنحل والغراب والهدهد والعصافير واليمام والحمام! اشرحوا لطفلكم ما يرى! الهدهد يأكل الدودة من الأرض! النحلة تمتص الرحيق! الغراب يستحم في حوض الماء! هكذا تبني اهتمام الطفل بالطبيعة! لا مانع من الصمت والتأمل!

في عمر عامين حدثوا طفلكم عن الزراعة وقوموا معه بتجربة زراعة الفول. دعوه يقوم بكل الخطوات باتباع توجيهاتكم! كرروا التجربة مع البطاطا والبصل والطماطم! في هذه المرحلة شجعوا طفلكم على تسمية الأشياء! اسألوه: ما هذه؟ بدلًا من «أين الشجرة»؟ ليجيبكم «شجرة».

في عمر ثلاث سنوات تحدثوا معه عن المواسم وعن النخل والبلح والصناعات القائمة على النخيل! استمتعوا بأسئلته ونهمه للمعرفة! سوف يسأل عن كل ما أثار فضوله وسوف يسترجع كل الصور الذهنية التي خزنها «عقله الماص»، وسوف تفاجئوا من معلوماته وملاحظاته وأسئلته. سوف تتحول جولاتكم وتنزهاتكم في الطبيعة إلى دروس عن صناعة العسل والطيران والعوم والتلقيح وأنواع الأشجار المثمرة ودورة حياة الحشرات، وغيرها من الحوارات الشائقة التي توطد العلاقة بينكم وبين الصغير الذي يكبر.

لا تنسوا الكتب في جميع المراحل السابقة! كتب عن الطبيعة والطيور والحشرات والورود

والمطر والمواسم وغيرها من الكتب التي توسع مدارك الطفل وترسخ ما رأى خلال جولاته معكم! كذلك لا تهملوا الفن وصناعة الأعمال الفنية من الودع وفروع الشجر الجافة والأغصان المتساقطة والزهور بعد تجفيفها!

لقد صدقت «ماريا مونتيسوري»! كيف لطفل انشغلت يده واشتعل عقله أن يدمر أو يخرب أو يشعر بالملل أو الفراغ؟ أول أربعة أعوام ونصف من حياة «آدم» قضيناها هكذا، في الطبيعة وبين المزارع والحقول. لو زعمت أن لي رصيدًا لديه اليوم، فأنا مديونة لهذه الفترة الممتعة من علاقتنا.